في الحرب الطويلة الامد من نصيب الجانب الذي يملك قدرات بشرية اكبر(٦٧).

يستطيع المرء آخذا بعين الاعتبار الاهداف التي ذكرناها ، ان يوجه الاسئلة التالية : كيف يمكننا أن نضمن قيام مجتمع انساني حقا عند التحرير ؟ اذا كانت حركة المقاومة تهدف الى مساعدة الانسان الفلسطيني على تطوير اطار سياسي — اجتماعي لا يستطيع فيه ان يعيش ويدع غيره يعيش فحسب بل أن يعيش حقا ايضا ، فما هي الضمانات، التي تستطيع الحركة تقديمها ضد امكانية وقوع المجتمع الجديد ضحية الشوفينية والتحريرية الوحدوية (وهو مبدأ سياسي ينادي بتحرير المقاطعات المتصلة تاريخيا او عرقيا وجمعها في نطاق وحدة) في غمرة حماسة النصر العربي ؟ وهي حالة ليست مختلفة عن تلك التي اجتاحت اسرائيل بعد النصر الصهيوني عام ١٩٤٨ . هل تضمن حركة المقاومة لليهود الفلسطينيين الذين يتنصلون من الصهيونية استمرار وجود حقيقة يهودية في فلسطين دون أن تطغي عليها وتضطهدها الحقيقة العربية ؟ أيحقق المجتمع الجديد الذي سيولد في فلسطين حقيقة انسانية حقا تعيد التوكيد على نزعات الانسانية الاولية نحو العدالة والقسطاس؟ أم يكون المجتمع الجديد مجرد دولة اخرى تحتضن كل مفارقات الدول الاخرى وآفاتها الاجتماعية ؟ ان طرح هذه الاسئلة ليس تمرينا في الطوباوية ولا محاولة عقيمة للتنظير . فالاجابة عن هذه الاسئلة ، على الرغم من أنها ستفتقر الى اليقين، قد تلمح الى مستقبل المجتمع الجديد فتساهم بالتالي في فهم النسيج الاخلاقي / المعنوي للعملية العنفية الراهنة وفهم اتجاهها . وسنبحث في الفصل التالي كيف يمكن للمشاركين في هذه العملية أن يؤثروا عليها ايجابا .

المقاومة الفلسطينية : تاليف انساني

يمكن للمقاومة الفلسطينية ان تكون بمعنى ضيق كحركات التحرير الاخرى « مدمرة ومحرفة وشريرة »(٦٨) اذا كان ما سيحرر صورة متزمتة لحقيقة جماعية محدودة ، مغلقة على الحقائق الاخرى في المنطقة ذاتها . وسيكون الامر كذلك لو أن حركة المقاومة الفلسطينية تدفع الى اقامة مجتمع طبقة واحدة او دين واحد أو لون واحد . ففي مجتمع كهذا تسيطر الطبقة الممتازة او العرق الممتاز (الشعب المختار ، ان صح التعبير) على افراد المجتمع الجديد وتستغلهم ، او تعطي الفرص للافراد على اساس الطبقة او الانتماء العرقي بدلا من الكفاءة . فتسيطر اغلبية عربية على هذا المجتمع ، في حين يشكل غير العرب اقلية مضطهدة من الدرجة الثانية . غير أن حركات التحرير ، بما فيها النضال الفلسطيني ، قد تكون على مستوى اوسع « بناءة دامجة موحدة»(٦٩) اذ كانت عملية التحرير مكرسة لخدمة الانسان ضمن الوقائع الموضوعية للصراع بغض النظر عن العرق والاصل والانتماء الديني — ما دام الانسان المحرر قد اختار الانضمام الى المجتمع الجديد طوعا . ومن الضروري ان تنادي حركة المقاومة دون تردد بحقيقة انسانية منفتحة في فلسطين ، وهذا هدف يجب أن يؤكد باستمرار ، اذ عبر هذه الانسانية ، فقط ، تتغذى عملية التوحيد والبناء والدمج . هذا هو جوهر المنطق الثوري ، اذ عبر هذه العملية فقط تمكن اقامة رابطة عضوية بين المجتمع المحرر وكل افراده . ومن الواضح أن هذا الالتزام الخلقي يلقي مسؤولية ثقيلة على عاتق الثوريين الفلسطينيين . ومع ذلك فان عليهم أن يواجهوا الامر مباشرة لئلا يقعوا في وهدة التحلل الانساني ذاتها التي وقع فيها الاستعمار الصهيوني في فلسطين . ولكي يجري تجنب هذه الوهدة ، فان من المناسب ان نبحث الدعائم الايديولوجية / الخلقية للصهيونية الهرتزلية التي كان مقدرا لها ان تحل « المسالة اليهودية » في اوروبا .

اقترح ثيودور هرتزل ، وهو صحفي من فينا ، في كتاب له بعنوان « الدولة اليهودية » حل « المسالة اليهودية » باقامة دولة قومية مستقلة لليهود . وتتمحور موضوعة هرتزل الاساسية حول اربعة افتراضات(٧٠). اولها أن اليهود يؤلفون امة سيكولوجيا وثقافيا ، ولكنهم يفتقرون الى خواص المواطنة السياسية . الافتراض الثاني هو أن افتقار اليهود الى دولة أمر شاذ ادى الى اللاسامية والعذاب اليهودي (« المسالة اليهودية الابدية ») . وثالث هذه الافتراضات انه ما لم يعط اليهود الفرصة للتعبير عن انفسهم روحيا دون خشية الانتقام الجسدي فان الحضارة والثقافة اليهودية مهددة بالفناء . اما الافتراض الرابع فهو ان الطريقة الوحيدة لضمان تعبير اليهود عن أنفسهم ودفاعهم عن أنفسهم هي اقامة دولة